

عبد الحميد البلالي

أدب البلاء

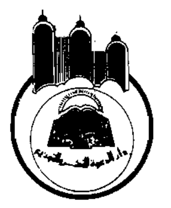
دار الدعوة (٢٩)



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أدب المبارك

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار الدعوة للنشر والتوزيع
ت : ٢٦١٥٠٤٥
ص.ب : ٦٦٥٢٠ بيان
الرمز البريدي : 43756
الكويت

أدب البلاء

تأليف:
عبد الحميد البلالي

دار الدعوة "٢٩"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

الحمد لله علىٰ كل حال يقدره سبحانه وتعالىٰ وليس للمرء فيه حول ولا قوة كائناً من كان إلا الرضوخ لقدره والرضىٰ بقضائه، والتسليم لما أراد. والعبد المملوك لسيده ليس له الاعتراض علىٰ ما يفعل سيده به، هذا شأن العبيد المملوكين لسادتهم من البشر، فكيف بالعبيد المملوكين لخالق السموات والأرض والذين لا يملكون أي شيء فيهم وكلهم له سبحانه وتعالىٰ، فمن باب أولىٰ عدم الاعتراض علىٰ ما يريد فعله بهم، ومع ذلك فهو لا يفعل إلا ما هو خير لهم وإن بدا في ظاهره غير ذلك، وذلك بقوله تعالىٰ :

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

ولهذا فالعبد الذي يعرف حقيقة العبودية، ويعرف سلوك الصراط المستقيم إذا ما أصابته مصيبة يتذكر أنه عبدٌ لله، ويتذكر أن هذه المصيبة هي بتقدير سيده وبعلمه فيستحي أن يعترض علىٰ مولاه، ويسلم له الأمر فيقول

---

(١) البقرة ٢١٦ .

بأدب ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ولذلك مدح الله تعالىٰ هذا الصنف من عباده بقوله تعالىٰ:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢].

فقرر في هذه الآيات حتمية البلاء علىٰ المؤمن، ثم عدد أنواع البلاء الذي يصيبه كالخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس وخسارة الزراعة وكل هذه محاطة برحمته الكبيرة ولهذا لم يقل سبحانه ﴿ولنبلونكم بالخوف والجوع.. الآيات﴾ إنما قال: ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ.. ﴾.

وهذا من تمام رحمته بنا، فهذا الذي يبتلينا فيه إنما هو الشيء اليسير ليختبر إيماننا وصدقنا، ثم أثنىٰ علىٰ الصابرين المحتسبين الناجحين في هذا الاختبار، المدركين لمعنىٰ الابتلاء وأهدافه فلم يعترضوا عليه إنما استسلموا الاستسلام الكامل وقالوا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

والبلاء قد يكون فردياً أو يكون جماعياً، والآيات

---

(٢) البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧.

السابقة تنطبق علىٰ الأفراد وتنطبق علىٰ الشعوب بكاملها.

فإهلاك القرىٰ أو تعذيبها نوع من البلاء يسلطه الله علىٰ من يشاء من القرىٰ إذا ما كثر الفساد والخبث لذلك قال تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴾[٣].

يقول ابن كثير في تفسيره: «هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حكم وقضىٰ بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعاً أو يعذبهم عذاباً شديداً إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم»[٤].

والعذاب الشديد يكون بصور مختلفة، إما بمرض يعم الجميع، أو بظالم يسلطه الله عليهم إما منهم أو من غيرهم يسومهم سوء العذاب، أو يسلط بعضهم علىٰ بعض، فيهلك بعضهم بعضاً، كما يحدث في الكثير من الشعوب، ومثال ذلك ما حدث في لبنان، وجمهوريات الاتحاد السوفييتي بعدما انفرط، والصومال، وغيرها من الدول،

---

(٣) الإسراء ٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٨٤).

أو يكون بالقحط العام، أو بالكوارث الجوية، أو بالانهيار الخلقي وتفكك الروابط، أو بانعدام الأمن، وغيرها كثير.

وقد يكون الفاعلون للفساد قلة بالنسبة للأكثرية من فاعلي الخير، إلا أن الله تعالىٰ قد يعم الجميع بالبلاء، خاصة إذا كانت هذهِ الغالبية الخيرة لم تقم بواجبها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يتعدىٰ خيرها علىٰ أنفسها، أو لأسباب أخرىٰ، لذلك يحذر الله تعالىٰ من هذا الأمر فيقول تعالىٰ:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٥].

يقول الإمام الطبري: «احذروا أيها المؤمنون فتنة، إن نزلت بكم لم تقتصر علىٰ الظالم خاصة بل تعم الصالح والطالح، يحذرهم أن يرتكبوا معصية أو يأتوا مأثما يستحقون به العقوبة»[٦].

ويقول النبي ﷺ: «**إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض، وإن كان فيهم صالحون، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلىٰ رحمة الله ومغفرته**»[٦أ].

---

(٥) الأنفال ٢٥. (٦أ) صحيح الجامع الصغير ٦٩٣.

(٦) مختصر تفسير الطبري.

وطول البلاء ومدته مرهون بسرعة وعمق عودة الذين ابتلاهم الله أفراداً أو شعوباً إلىٰ الله تعالىٰ والاعتصام بحبله، فهذا هو الهدف الرئيس من الابتلاء كما ذكر تعالىٰ في أكثر من موضع بقوله تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[7].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[8].

وما الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ إلا أحد الآداب التي يتأدب بها المؤمن أثناء الفتنة.

والهدف من هذا الكتيب هو تبيين بعض هذه الآداب والتي نسأل الله تعالىٰ أن يكون التخلق بها سبباً رئيساً من أسباب انفراج البلاء وارتفاع الظلم وزيادة الإيمان.

عبدالحميد البلالي.

---

(٧) الأعراف ١٦٨.

(٨) الروم ٤١.



الأدب الأول:

الرجوع إلىٰ الله

إن أهداف البلاء الذي يبتلي فيه الله خلقه كثيرة متعددة إلا أن الهدف الرئيس هو عودتهم إليه بسبب حبه لخلقه ورأفته بهم، فهو يبتليهم ليكون ذلك سبباً في عودتهم إليه ثم النجاة بعد ذلك من النار. .

* ففي سورة الأعراف قال تعالىٰ: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[9].

أي أن الله اختبرهم بالرخاء والشدة في العيش لينيبوا إلىٰ ربهم ويرجعوا إلىٰ طاعته[10] فالبلاء ليس بالشدة فحسب بل يكون في رغد العيش والحياة الميسرة أيضاً فإذا لم يرجع إليه بالرخاء ابتلاه بالشدة لعل ذلك يرجعه إليه.

* وفي سورة الروم قال تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ

---

(٩) الأعراف ١٦٨.

(١٠) مختصر تفسير الطبري (١/ ٢٩٠).

﴿...يَرْجِعُونَ﴾[11].

يقول ابن كثير: «أي فإن النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي. وقال أبو العالية: من عصىٰ الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ولأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة»[12].

* وفي سورة السجدة قال تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[13] والعذاب الأدنىٰ هو العذاب الدنيوي والعذاب الأكبر هو عذاب يوم القيامة والله يذكر في هذه الآية أنه سيذيق الناس بسبب معاصيهم وإعراضهم بعض العقوبة قبل عقوبة الآخرة حتىٰ يرجعوا إليه وينيبوا فيكون ذلك سبباً في مغفرته ورضوانه.

ومن رحمته سبحانه وتعالىٰ أنه قبل التعذيب الشديد لتلك القرىٰ أنه يرسل إنذارات تلو الإنذارات لكي يعودوا إليه قبل الاستئصال أو التعذيب الشديد، فإذا لم يستفيدوا من تلك الإنذارات والإشارات أخذهم أخذة ترجعهم إلىٰ

---

(١١) سورة الروم ٤١.

(١٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٥).

(١٣) سورة السجدة ٢١.

صوابهم ويؤكد خطأ ما كانوا عليه، لأن الإنسان مجبول علىٰ العودة إلىٰ الله إذا ما شعر بالضعف، ولا شك أن أول علامات الرجوع الصحيح إلىٰ الله هي:

* الشعور بالذنب:

والشعور بالذنب هو الأساس الذي يضع أقدامنا علىٰ العتبة الصحيحة في بداية الرجوع إلىٰ الله وهي التوبة إليه.

* أصول المعاصي:

يقول الإمام ابن القيم: «أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك، والظلم والفواحش»[١٤].

فغاية التعلق بغير الله شرك وأن يدعي معه إلٰه آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله تعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ ﴾[١٥].

(١٤) الفرقان ٦٥.

(١٥) الفوائد (١٠٦) ـ النفائس.

هذه الأصول الواضحة لها فروع قد تخفىٰ علىٰ الكثير فلا تشعر بأنها ذنوب يجب الإقلاع عنها، ومن الناس من يموت الإحساس فيه حتىٰ عن أصول المعاصي الواضحة، فلا يشعر بشيء البتة. تلك القلوب التي غطاها الران فأصبحت بلا بصيرة، ومات عندها الشعور فما عادت تحس بشيء.

* ألفة المناكر:

ولعل السبب الرئيس في مشكلة عدم الإحساس بالذنب، هو ألفة المنكر لكثرة اقترافه، تماماً كإلفتنا لمخلوقات الله العظيمة كالسماء وما فيها، والأرض وما عليها من مخلوقات عجيبة بسبب كثرة رؤيتنا لها، ولكننا تعجبنا عندما نزل الإنسان علىٰ القمر، وما زلنا نتعجب عند كل اختراع جديد، وننسىٰ ما هو أدق وأبرع بالخلقة من هذه المخترعات البشرية، وذلك بسبب إلفتنا لما نراه من مخلوقات الله، كذلك الذنوب عندما تزاول كثيراً، يألفها القلب فما يعود ينكرها، وهذا ما كان يخيف أبا الحسن الزيات رحمه الله فكان يقول: «والله لا أبالي بكثرة المنكرات والبدع، وإنما أخاف من تأنيس القلب بها، لأن الأشياء إذا توالت مباشرتها أنست بها النفوس، وإذا أنست

النفوس بشيء قل أن تتأثر به»[١٦].

* ألفة العقوبة:

وأخطر من ألفة المنكر هو ألفة العقوبة، حتىٰ يصل إلىٰ درجة عدم الإحساس بأن الحال الذي هو فيه عقوبة لذنب قد اقترفه، وليستمع من وصلت به الحال إلىٰ هذه الدرجة لقول ابن الجوزي عندما يقول: «واعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر، ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين، وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس، فيكون من آثارها سلامة البدن وبلوغ الأغراض»[١٧].

ومن أمثالها ألا يوفق البعض لصلاة الفجر زمناً طويلاً، حتىٰ يألف هذا الذنب، ويألف تلك العقوبة، فما يعود يشعر بوخز الضمير وألم الذنب بينما كان الرعيل الأول يعود بعضهم الآخر عندما يفوت أحدهم صلاة جماعة. ومن تصل فيه الحال إلىٰ درجة انعدام الإحساس بعقوبة الذنب فهـذا علىٰ خطر كبير، إذ ربما سبب ذلك إلىٰ سقوطه

---

(١٦) تنبيه الغافلين للنحاس (ص٩٣).

(١٧) صيد الخاطر (١٦٩) ـ الطنطاويان.

ورجوعه إلىٰ طريق الضلال والذي يطلق عليه الإمام ابن القيم «القتل» إذ يقول: «الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل»[18].

* يخافون حتىٰ علىٰ الحسنات:

ويتجاوز جيل الرعيل الأول قضية الإحساس بالذنب إلىٰ درجة قل من يصل فينا إليها، وهي الخوف من عدم قبول الحسنات، فها هو التابعي الجليل الحسن البصري يخبر جيل التابعين عنهم فيقول: «لقيت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق ألا تقبل منهم من سيئاتكم»[19] ذلك جيل فريد لا يتكرر، ما هم كأحدنا يصلي ركيعات في الليل وينفق دريهمات قليلة للدعوة، يحسب أنه قد وصل.

* القلوب اليقظة:

أولئك كانوا أصحاب قلوب يقظة لا يعرف الران إلىٰ قلوبهم سبيلاً، وما أفسد شيء من حب الدنيا أجهزة الإحساس في قلوبهم، حتىٰ يصل الإحساس بأحدهم أنه

---

(١٨) الفوائد (٥٤) ـ النفائس.

(١٩) صفة الصفوة (٣/٢٢٧).

يتذكر ذنباً منذ أربعين سنة، ما زال يحس بأثره، فمما رواه عبيدالله بن السري قول التابعي القدوة محمد بن سيرين «إني لأعرف الذنب الذي حمل به علي الدين ما هو. قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس»[٢٠] وما يستطيع أحد أن يتذكر ذنباً مضت عليه كل هذه السنين إلا رجل قد قلت ذنوبه فاستطاع أن يحصيها، لذلك عندما أخبر عبيدالله بن السري أبا سليمان الداراني بذلك قال: «قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نؤتىٰ». هكذا كانوا يحسون بالذنب، بربطه بالبلاء الذي يصيبهم فمما يرويه ابن الجوزي «عن بعض السلف أن رجلاً شتمه، فوضع خده علىٰ الأرض وقال: اللهم اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي»[٢١] وحتىٰ إذا لم يوفقوا لطاعة ربطوا ذلك بذنب ربما اقترفوه، فعن أبي داود الحفري قال: دخلت علىٰ كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي، فقيل له ما يبكيك؟ قال: إن بابي لمغلق، وإن ستري لمسبل، ومنعت جزئي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أذنبته»[٢٢].

---

(٢٠) (٢١) صفة الصفوة (٣/٢٤٦).

(٢٢) صفة الصفوة (٣/١٢٢).

* أعبد الناس:

وقوم هذا شأنهم، يستحقون بأن يصفهم تلميذ ابن عباس سعيد بن جبير بأنهم من أعبد الناس، ذلك عندما قيل له: «من أعبد الناس؟ قال: رجل اجترح من الذنوب، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله»[٢٣] هذا فيمن اقترف ذنباً فكيف فيمن لم يقترف ذنباً، ويبكي فوات العمل الصالح لظنه أن تلك عقوبة لاقترافه الذنوب، فأين قساة القلوب من الدعاة من هؤلاء، أفنطلب بعد ذلك نصراً علىٰ الباطل ونحن علىٰ هذه الحال؟؟

* التوبة النصوح:

والتوبة إلىٰ الله هي بداية الطريق، وأبرز علامة من علامات الأوبة إلىٰ الله، وهي لا تتحقق إلا بشروط أربع:

١) الندم علىٰ ما فات من المعاصي.
٢) الإقلاع فوراً عن المعصية.
٣) العزم علىٰ عدم العودة للمعصية.
٤) إرجاع الحقوق لأهلها.

---

(٢٣) الزهد ـ لأحمد (٣٨٧).

* توبة النبي ﷺ :

وإذا كان الرسول ﷺ ، وهو المعصوم من الذنب يقول : **«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**[٢٤] فنحن الذين دونه أحق بالتوبة الدائمة التي لا تنقطع.

* فرح الله بتوبة العبد :

يقول النبي ﷺ مبيناً شدة فرح الخالق بعبده التائب : **«لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكه ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ ، وقد ذهبت راحلته فطلبها ، حتىٰ إذا اشتد عليه الحر والعطش ، قال أرجع إلىٰ مكاني الذي كنت فيه ، فأنام حتىٰ أموت ، ثم رفع رأسه ، فإذا راحلته عنده ، عليها زاده : طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»**[٢٥].

* يأبون دخول الجنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

---

(٢٤) رواه البخاري.

(٢٥) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح.

«**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**. قالوا: يا رسول الله ومن يأبىٰ؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»[٢٦].

فهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة إلا صنفاً منهم لا يريد دخولها، لا زهداً فيها ولكن جهلاً بالطريق الموصلة إليها، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة علىٰ تلك النعم الخالدة في الجنة، فدخول الجنة يقتضي كما ذكر الرسول ﷺ طاعته، والعصيان معناه الرفض والإباء لدخول الجنة، ولهذا الرفض أسباب تتمثل في بعض العوائق المقيدة لنفوس البعض لتحول بينهم وبين توبة نصوح تكون سبباً في دخولهم الجنة، الأمر الذي يجعلهم يأبون دخول الجنة مع علمهم بالنعيم الخالد فيها.

١ ـ تحطيم الأصنام:

الأهواء أصنام تعبد من دون الله لذلك قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٢٧] فالربا صنم، والزنا صنم، والغش صنم، والتبرج صنم، وأكل الأموال بغير الحق

---

(٢٦) أخرجه البخاري ـ الفتح (٧٢٨٠).

(٢٧) الفرقان ٤٣.

صنم، وكل ما تهواه النفس مما يغضب الله صنم يعبد من دون الله، ولا تصفو التوبة حتىٰ تتحطم هذه الأصنام ولا تقوم لها قائمة، فتوبة مع وجود هذه الأصنام في أغوار النفس، توبة مغشوشة، لأن النفس أمارة بالسوء، فإذا ما وجدت صنماً من هذه الأصنام قائماً بعد لم يحطمه صاحبه فإنها تغريه وتزينه له وتشوقه لعبادته القديمة، وكلما أبىٰ وتمنع عاودت معه الكرة تلو الكرة، حتىٰ يعود من حيث جاء، وتنهار توبته التي لم يحطم فيها جميع الأصنام، فلا بد لمن أراد توبة نصوحاً أن يحطم كل ما يربطه بالماضي الأثيم. لهذا سمعنا عن عودة بعض التائبين إلىٰ الضلال بسبب تركهم لبعض ما يربطهم بالمعصية دون تحطيم، من آلات طرب، وصور عارية، وأموال حرام، وصداقات نساء، وزجاجات خمر، ومخدرات ومفترات، وغيرها من أمور المعصية بينما ثبت البعض الآخر من التائبين ممن حطموا في بداية توبتهم كل ما يربطهم بغضب الله.

فمطرب يحطم آلات الطرب، ورسام يمزق اللوحات، ومراهق يحرق المجلات والصور الداعرة، ومدمن يكسر زجاجات الخمر، ويحرق المخدرات ومراب يسحب أموال الربا ليفرقها بين المساكين، ومتبرجة تحرق ثيابها كلها، صور تتكرر لإبراهيم عليه السلام حينما حطم الأصنام،

ولمحمد ﷺ حينما حطم الأصنام لغرس التوحيد في أرض الإسلام الجديدة.

٢ ـ أرض المعصية:

ومن العوائق الرئيسة للتوبة النصوح عدم تغيير أرض المعصية وبيئة المعصية، فالذي يريد النجاة لا يسكن في أرض موبوءة، فإن ميكروب المرض لا بد أن يصيبه، أو يغلق عليه بابه ويعتزل الجميع فيؤدي بنفسه إلىٰ الهلاك البطيء، لذلك جاء في حديث توبة القاتل الذي قتل مائة نفس قول العالم الصالح الذي تاب توبته الأخيرة علىٰ يديه «**انطلق إلىٰ أرض كذا وكذا. فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم. ولا ترجع إلىٰ أرضك. فإنها أرض سوء**»[٢٨].

فكيف لتائب من الزنا أن تحسن توبته وهو لا يترك العمل في المراقص، وكيف لتائب من مصاحبة النساء أن تحسن توبته وهو لا يترك أماكن تجمع النساء وكيف لتائب من معاقرة الخمر أن تحسن توبته وهو لا يترك أماكن الخمر، وهكذا فلا بد لكل طالب لتوبة نصوح أن يترك أرض المعصية.

---

(٢٨) جزء من حديث أخرجه مسلم (٤٧٦٦).

٣ ـ التفات القلب إلىٰ الذنب:

يذكر الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» أن من حقائق التوبة «إتهام التوبة» ويذكر صوراً من اتهام التوبة منها «ضعف العزيمة والتفات القلب إلىٰ الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعته، فربما تنفس، وربما هاج هائجه»[٢٩] وإنما يحصل هذا الشعور للفتور الناتج من ضعف التقرب إلىٰ الله بقراءة القرآن الكريم والتزام الأذكار في أدبار الصلوات، وقيام الليل ونوافل الصوم، والصدقات والمحاسبة وغيرها من أعمال القرب إلىٰ الله تعالىٰ مما يجعله عرضة للوساوس والخطرات الناتجة من الشيطان وجنوده.

وإذا ما استسلم لهذه الخطرات، دون أن يردعها ويزمها بيقظة ترجعه إلىٰ الجادة، فربما أدىٰ ذلك إلىٰ الرجوع إلىٰ أرض الضلال والمعصية، وإنما يعين علىٰ إزالة هذا الخاطر، استشعار رقابة الله تعالىٰ والاستغفار والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

---

(٢٩) تهذيب مدارج السالكين (ص١٢٥).

٤ ـ الغفلــة:

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[٣٠].

فهو يغفل عن رقابة الله عليه حين اقترافه لهذه المعاصي، والرقابة متىٰ ما غابت عن مسلم ضعف سيره، ومال إلىٰ الكسل والجمود، مما يجعله لا يتحرج من القيام بأعمال مخلة بالتوبة، وهذا يؤدي به إلىٰ عدم استحداث أعمال تعينه علىٰ التوبة، لهذا يذكر الإمام ابن القيم أن من علامات «اتهام التوبة» «جمود العين، واستمرار الغفلة، وألا يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة»[٣١].

فالأعمال الصالحة بمثابة الوقود للسيارة، لا يمكن أن تسير بدونه فلا تنفعها النظافة الخارجية، وألوانها الزاهية من غير وقود، وكذلك التائب إذا غفل عن استحداث

---

(٣٠) أخرجه مسلم (١٠٠) كتاب الإيمان.

(٣١) تهذيب مدارج السالكين (ص١٢٥).

أعمال صالحة، فإنه يحكم علىٰ نفسه بالتوقف الحتمي عندما ينتهي زاده القديم الذي لم يجدده ويزيده، وهذه الأعمال لا يمكن أن تنتج دون استشعار رقابة الله الدائمة عليه في كل لحظة وخطرة ولفظة، في النوم واليقظة وفي السكون والحركة.

٥ ـ عدم تغيير الأصحاب:

يقول الرسول الكريم ﷺ: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[٣٢] وهذا يعني أن الإنسان لا بد أن يتأثر بمن يلازمه ويصاحبه، إما تأثراً إيجابياً وإما تأثراً سلبياً فإن كان الذي يخالطه صالحاً جاء التأثر إيجابياً، وإن كان العكس جاء التأثر سلبياً، فإذا لم يستبدل أصحاب المعصية بأصحاب الطاعة، فأنىٰ له أن يحجز نفسه عن دائرة التأثير السلبي التي تأتيه من أصحاب السوء الذين يخالطهم، فهذا يستهزىء بالتزامه، وآخر يذكره بليالي الماضي الحمراء، وآخر يتكلم أمامه مع صديقته، ويتحدثون أمامه بمغامراتهم في بلاد الغربة، ولا يسمع منهم كلمة واحدة يذكرون الله فيها، ولا يصل إلىٰ أذنيه إلا السب والشتيمة وسقط القول، فكم سيصمد مثل هذا

(٣٢) صحيح الجامع الصغير (٣٥٣٩).

التائب، ومدافع المعصية تصوب نحوه ليل نهار، من أبالسة الإنس والجن، ولا يجد من يذكره بالله؟؟

لقد رأينا من أمثال هؤلاء الكثير، الذين لم يحبوا تغيير أصحابهم بعد أن هداهم الله، ورفضوا السير مع الصالحين بسبب شبهات تربوا عليها من الإعلام المعادي للتوجه الإسلامي، فكان مصيرهم السقوط بعد أن هداهم الله، بل السقوط أكثر مما كانوا عليه.

كما قال الرسول ﷺ في ما أخرجه الإمام البخاري واصفاً جليس السوء بكير الحداد «**وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة**» وقال علي رضي الله عنه: «لا تصحب الفاجر، فإنه يزين لك فعله، ويود لو أنك مثله»[٣٣] وينقل المناوي قول البعض: «إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري، وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه، والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه»[٣٤].

٦ ـ نسيان الموت والخاتمة:

يشعر بمشقة كبيرة عندما يحاول الالتزام بتوبة نصوح

(٣٣) (٣٤) فيض القدير (٥/٥٠٧).

فكلما التزم اشتاق إلىٰ ماضيه وعاد إليه، يغريه الأمل، والعافية التي يرفل فيها، فيمني نفسه ويقنعها بالتسويف يوماً بعد يوم، وذلك لأنه ينسىٰ الموت الذي لا يخبر بموعده أحد، فيفجأه وهو غافل فيختم له بخاتمة السوء، إنه ينسىٰ هذه اللحظات الخطيرة من حياته، وإن نسيانها من أكبر العوائق التي تعيق البعض عن التوبة الصادقة.



الأدب الثاني:

الرضا بأمر الله

والرضا بأمر الله هو قبول ما يقدره سبحانه وتعالىٰ علىٰ العبد دون اعتراض ولا جزع ولا ضيق، بل يستقبل الأمر بالقبول الحسن والنفس الهادئة والقلب المطمئن والوجه المبتسم.

* دليل حب الله تعالىٰ:

والذي يدعي حبه لا يمكن أن يصدق من غير أدلة تدل علىٰ هذا الحب، والتي منها قبوله بما يصنع الحبيب به من غير اعتراض كما قال الشاعر:

«لا تخدعني فللحبيب دلائـــل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منهـــا تنعـــمــه بمــر بلائــه	وسروره في كل ما هو فاعـــل
ومن الـدلائـل أن يرىٰ متبسماً	والقلب فيه من الحبيب بلابـل»[٣٥]

---

(٣٥) موعظة المؤمنين (٢٢٢).

* طعم الإيمان:

لن يذوق طعم الإيمان إلا من رضي بقدر الله عليه ولهذا قال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[٣٦].

والإيمان بالربوبية يقتضي الإيمان والتسليم لتدبيره لكل شيء من شؤون العبد، بل ولشؤون الكون كله. ومثال ذلك الطبيب الذي نعالج عنده عندما نذهب إليه ليفحص ما فينا من العلل، فإننا نستسلم له استسلاماً كاملاً ليفحص ثم يشخص المرض ثم يكتب الدواء. دون أن نعترض عليه أي اعتراض، لإيماننا إنه يملك من العلم ما لا نملكه، فالله سبحانه أحق بهذه الطمأنينة وهذه الثقة لأنه أعلم العالمين.

ومن وصل إلىٰ هذه المنزلة من الرضا فإنه يستحق المغفرة إذ يقول النبي ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»[٣٧].

---

(٣٦) مسلم ـ مختصر مسلم (٢٥).

(٣٧) مسلم ـ مختصر مسلم (٢٠٠).

بل إن هذا يمتد أثره إلىٰ يوم القيامة، حتىٰ يكون حقاً علىٰ الله أن يرضيه ويدخله الجنة.

يقول النبي ﷺ: «**من قال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً: وجبت له الجنة**»[٣٨]. لا يقولها بلسانه فحسب بل معتقداً في قرارة نفسه ما ينطق به لسانه.

* رضا النبي ﷺ:

وهكذا يعلمنا النبي ﷺ كيف نلتزم بهذا الأدب الرفيع عند الابتلاء، فها هو ابنه الحبيب يتوفىٰ بين يديه وتجيش عاطفة الأبوة فيبكي النبي البشر، فيتعجب الصحابة لرؤيتهم رسولهم وهو يبكي، فيسأل أحدهم وقد تملكته الدهشة «أتبكي يا رسول الله» فيرد عليه بالمنهج الذي يجب أن يلتزم به المؤمنون عندما يبتليهم الله تعالىٰ، والأدب الذي يجب عليهم أن يلتزموا به قال: «**إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٣٩] فالقلب يحزن لأننا لا نملكه، والعين تدمع لشدة المصاب، ولكن هذا لا يجعلنا نخرج عن دائرة الأدب مع الله، أو الاعتراض علىٰ ما قدر، ولا

---

(٣٨) أبو داود بإسناد صحيح.

(٣٩) البخاري (٣/ ١٣٩).

نقول أو نفعل إلا ما يرضي الرب لأنه هو الذي قدر هذا، ونقول كما قال المؤمنون: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

ولهذا يعطي الله تعالىٰ رضوانه يوم القيامة لمن كانوا يرضون بقضائه بالدنيا إذ قال تعالىٰ:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٤٠].

* علي يعلم عدي:

نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلىٰ عدي بن حاتم كئيباً، فقال: يا عدي، ما لي أراك كئيباً حزيناً: فقال وما يمنعني وقد قتل أبنائي وفقئت عيني.

فقال يا عدي: من رضي بقضاء الله جرىٰ عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرىٰ عليه وحبط عمله»[٤١].

فقضاء الله لا يوقفه جزعنا أو رضانا، فهو ماض لا

---

(٤٠) التوبة ٧٢.

(٤١) موعظة المؤمنين (٢٢٣).

يوقفه شيء، ولكن الإنسان هو الذي يجب عليه أن يتعامل معه بمقتضيات الإيمان والعقل، فمن كان يؤمن بقدرة الله وعلمه، وأنه غير جائر في حكمه، لن يعترض علىٰ ما يقدر عليه ومع ذلك فهو يؤجر، بينما المعترض يأثم بسبب نقص في فهمه للإيمان فنسأل الله أن نكون من الراضين بما قدر علينا ولا نقول إلا ما يرضيه «إنا لله وإنا إليه راجعون».



الأدب الثالث:

الصـــــبر

فالصبر كما يقول العلماء هو شطر الإيمان، فالإيمان كما يقول الإمام ابن القيم: «فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر»[٤٢] والصبر من أنجح العلاجات للبلاء وقد ذكر في القرآن في نحو تسعين موضعاً كما قال الإمام أحمد.

* معنىٰ الصبر:

والصبر في اللغة هو «الحبس والكف، فالصبر حبس النفس عن الجـزع والتسخط. وحبس اللسـان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن التشويش»[٤٣].

ويعرف الإمام علي الصبر بثلاثة أنواع:

«صبر علىٰ المصيبة، وصبر علىٰ الطاعة، وصبر علىٰ المعصية».

---

(٤٢) تهذيب مدارج السالكين (٣٥١).

(٤٣) تهذيب المدارج (٣٥١).

فهي إذن حبس النفس عند المصيبة من الجزع والاعتراض وحبس النفس عند الطاعة من الملل والضجر. وحبس النفس في دعوتها لاقتراف المعصية عندما تتزين.

* الغاية من البلاء:

وأحد الغايات التي ذكرها الله تعالىٰ في كتابه من البلاء هي معرفة الصابر من الجازع. إذ يقول تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[44]

* الأسباب المعينة علىٰ الصبر:

١ ـ تذكر أجر الصابرين:

يقول تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[45]

فرتب الله علىٰ صبرهم ثلاث نتائج:

أ ـ ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهي المغفرة والثناء الحسن.

---

(٤٤) البقرة ١٥٥.

(٤٥) البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧.

ب ـ ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ رأفة بعد رأفة في الدنيا والآخرة.

جـ ـ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ تصنيفهم في صف المهتدين.

ويتذكر حب الله للصابرين بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤٦)

وأن الله في معية الصابرين دائماً بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤٧)

ويروي البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ عن ربه: **«ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة»**.

٢ ـ الاسترجاع:

وهو قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وقد أشرنا في (١) ما لأجر القائل لهذه الكلمة، ومعناها «أن نفسه وأهله وولده لله عز وجل، وقد جعله الله عند العبد عارية، فإذا أخذه فهو كأخذ المعير عاريته. وأن

---

(٤٦) آل عمران ١٤٦.

(٤٧) الأنفال ٤٦.

مصير العبد ومرجعه إلىٰ مولاه ولا بد له يوماً من الأيام أن يخلف الدنيا وراءه.

وروىٰ مسلم في صحيحه **«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»**.

٣ ـ دليل علىٰ حب الله:

والبلاء دليل علىٰ حب الله للعبد كما قال النبي ﷺ: **«إذا أحب الله قوماً ابتلاهم»**[٤٨] وهذا الحديث تسلية لصاحب المصيبة، بأن هذا البلاء أحد الأدلة علىٰ حب الله للعبد.

٤ ـ الذنوب تجلب البلاء:

وصاحب البلاء يجب أن يتذكر أن هذا البلاء ربما ترتب بسبب ذنب، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[٤٩] وهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، وهذا الاستشعار يؤدي به لكثرة الاستغفار، الذي

---

(٤٨) الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح.

(٤٩) الشورىٰ ٣٠.

هو من أكبر أسباب دفع المصائب، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة» ويقول الفضيل بن عياض: «إني لأذنب الذنب فأرىٰ ذلك في دابتي وفي ولدي وحتىٰ في فأر بيتي».

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا ما أصابهم بلاء يلتفتون أول ما يلتفتون إلىٰ الاستغفار، لخوفهم من ذنب اقترفوه، ترتب عليه هذا البلاء.

٥ ـ ترتب العافية بعد البلاء:

أن يعلم أن هذا البلاء إنما تعقبه العافية والخير، وهو لا يعلم ذلك مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ويتذكر قصة الخضر مع موسىٰ عليه السلام كما ذكرت في سورة الكهف.



الأدب الرابع :

المحاسبـــة

* وقفة مع النفس :

فلا بل لكل مسلم أن يقف مع نفسه وقفة يراجع معها ما فعل قبل البلاء فإن كان ما قدمه فيه ما يغضب الله فليعزم علىٰ تركه والتوبة إلىٰ الله، وإن كان في ما قدم تقصير فليتم ما نقص وقصر وليكمل البناء الذي طلبه منه الرب وإن كان فيما قدم طاعة فليعزم علىٰ الاستمرار فيها، فلا بد من غربلة لجميع ما كنا نقوم فيه، فلربما كان البلاء بسبب ما كنا نقوم فيه من أعمال تغضب رب العالمين وإن الله رتب علىٰ كل معصية عقاباً وتهديداً، فهدد الذين يمارسون الربا بقوله تعالىٰ: ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٥٠] والبنوك الربوية تملأ الديار.

وهدد مقترفي الزنا بما رواه النبي ﷺ: **«إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»**[٥١].

---

(٥٠) البقرة ٢٧٩.

(٥١) الطبراني بإسناد صحيح.

وهدد الذين يعملون السوء بشكل عام فقال الرسول ﷺ: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه، إلا عمهم الله تعالىٰ منه بعقاب**»[٥٢].

فربط ها هنا العذاب بعدم القيام بواجب الإنكار.

وغيرها من المعاصي التي هدد الله مقترفها بالعذاب إذا لم يتركوها فحري بكل منا أن يقف مع نفسه وقفة شجاعة ويصارحها صراحة تامة عما كان يقترف من المعاصي قبل البلاء ليتوب منها.

*** يوم القيامة:**

في ذلك اليوم العصيب، الذي ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٥٣].

في ذلك اليوم الذي يشيب فيه الوليد، ويصيح فيه أطهر الناس، وهم الرسل والأنبياء: «يا رب سلم يا رب سلم». في ذلك اليوم الذي تتصدع فيه الأرض، وتتشقق السماء، وتتناثر النجوم وتنكدر، وتتصادم ويختل نظامها.

---

(٥٢) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(٥٣) الحج ١.

في ذلك اليوم الذي تنطق فيه الأرض ﴿ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[54]. في ذلك اليوم الذي يحشر الناس فيه عراة غرلاً علىٰ صعيد واحد، في ذلك اليوم الذي تنزل فيه الشمس علىٰ ميل من الرؤوس حتىٰ يعرق الناس فيبلغ عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم، في ذلك اليوم يحاسب الناس علىٰ ما قدموه في الدنيا، وما طبقوا من الهدف الذي خلقوا من أجله، يحاسبون حساباً دقيقاً لا يخطر علىٰ بال الإنسان فيقول عندما يرىٰ كتابه قد مليء بما لم يتوقع ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾[55] حتىٰ الذرة يسأل عنها: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[56].

* بماذا يحاسب الإنسان:

وإن مما يحاسب به الإنسان يوم القيامة سؤاله عن أربع، كما روىٰ الترمذي قوله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه**

---

(٥٤) الزلزلة ٤ ـ ٥.

(٥٥) الكهف ٤٩.

(٥٦) الزلزلة ٧ ـ ٨.

ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[٥٧]. وإن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة كما روىٰ أبو داود في الحديث الصحيح قوله ﷺ: **«إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا عز وجل لملائكته: انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال علىٰ ذلك»**[٥٨].

* شهادة الجوارح:

ولئن أنكر شيئاً مما يعرض عليه، أشهد الله عليه جوارحه لتنطق بما فعل بها، حتىٰ إن أحدهم يقول: «أي رب آمنت بك، وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذن، ثم يقول: الآن نبعث شاهداً عليك، فيتفكر في نفسه، من ذا الذي يشهد عليه؟ فيختم علىٰ فيه، ويقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر

---

(٥٧) الترمذي ـ وصححه الألباني ص. ج. ص ٧١٧٦.

(٥٨) أبو داود ـ (٨٦٤) وصححه الأرناؤوط ـ شرح السنة (٤/ ١٥٩).

من نفسه»[٥٩]

ويقول تعالىٰ في شهادة الجوارح: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٦٠].

ويقول تعالىٰ محدثاً عن لومهم لجلودهم:
﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[٦١].

* حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا:

فمن أراد أن ينجو من هذا الخزي والسؤال يوم القيامة، فليحاسب نفسه في الدنيا قبل حسابها بالآخرة، ذلك ما ذكرنا به الله تعالىٰ عندما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ﴾[٦٢] وها هو الفاروق يفهم هذه الآية فهما دقيقا ويقول لرعيته: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر»[٦٣].

---

(٥٩) مسلم رقم (٢٩٦٨) في الزهد.

(٦٠) النور ٢٨.

(٦١) فصلت ٢١.

(٦٢) الحشر ١٨.

(٦٣) تاريخ عمر ـ لابن الجوزي (ص٢٠١).

هكذا كان دأب الصحابة جميعاً رضي الله عنهم لشدة خوفهم من السؤال يوم القيامة. يقول عامر بن عبدالله: «رأيت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ وصحبتهم فحدثونا أن أحسن الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم محاسبة لنفسه»[٦٤]. وجاء جيل التابعين ليكرر ما فعله الرعيل الأول، فهذا الحسن البصري يبكي في الليل حتىٰ يبكي جيرانه، فيأتي أحدهم إليه في الغداة ويقول له: لقد أبكيت الليلة أهلنا، فيقول له: إني قلت «يا حسن لعل الله نظر إليك علىٰ بعض هناتك فقال: اعمل ما شئت فلست أقبل منك شيئاً»[٦٥].

بهذه الحساسية كانوا يعيشون، وبهذا العمق الإيماني كانوا يهنأون، عرفوا ما يريد منهم ربهم، فكانوا مصاحف متحركة، وكان الواحد منهم بألف أو يزيد منا، فإذا أردنا أن يعاد لنا المجد والسؤدد، فلا مناص من اقتفاء آثارهم، فهل نحن فاعلون؟

---

(٦٤) الزهد لأحمد (ص٢٢٦).

(٦٥) الزهد لأحمد (ص٢٨٠).

الأدب الخامس:

العمـــل

في أيام الفتنة يكثر الانشغال والتفكير بها، وربما أثر ذلك كثيراً علىٰ العبادة، فمن تذكر العبادة آنذاك كان أجره عظيماً وهـذا ما يبينـه الـرسـول ﷺ بقـوله: **«ائتمروا بالمعـروف، وانتهـوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيـه، فعليـك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض علىٰ الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»**(٦٦).

وإذا كانت الهجرة قد انتهت وأجرها قد انقطع منذ أن فتحت مكة فإن أجر الهجرة يتجدد إذا استمر المؤمن بعبادته وتقربه إلىٰ الله أيام الفتنة مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح **«العبادة في الهرج كهجرة إليَّ»**(٦٧).

---

(٦٦) رواه الترمذي (٣٠٦٠) يقول الأرناؤوط: إسناده ضعيف ولكن له شواهد يرتقي بها جامع الأصول (٤/١٠).

(٦٧) أحمد ومسلم والترمذي (٥/٢٥ - ٢٧) مختصر مسلم =

ولا شك أن هذا الزمان الذي أشير إليه في الحديث مشابه لزماننا هذا الذي نعيش فيه، فلا بد من زيادة الأعمال. والبلاء لا يمكن أن يرتفع من غير رجوع إلىٰ الله، والرجوع لا يعني التوبة فحسب، بل لا بد أن يعقبه عمل وإقبال علىٰ الله.

* أنواع العمـــل:

١ ـ وأول الأعمال التي يجب الاهتمام بها هي **الفرائض والواجبات** كالصلوات الخمس وصيام شهر رمضان والزكاة والحج، وحجاب المرأة، والابتعاد عن الربا والزنا وما شابهه من منكرات.

ومن أوجب الواجبات أيام الفتنة القيام بكل عمل يؤدي إلىٰ إزالتها أو التخفيف منها علىٰ المسلمين، كالقيام بقضاء حاجاتهم وتيسيرها، ومساعدة الضعيف، وتطمين المضطرب، وإغاثة الملهوف، وكل ما من شأنه إزالة الفتنة. وهذه المرحلة تحتاج إلىٰ تضحية كبيرة وعمل متواصل حتىٰ تخف وطأة تلك الفتنة.

(٢٠٤٠) والهرج بمعنىٰ كثرة القتل بسبب شدة الفتنة والاختلاف.

٢ ـ **النوافل**: وهي كل عمل زائد علىٰ الواجبات، كصلاة التطوع وصيام التطوع والأذكار والأمر بالخير والصدقات، وحضور حلقات العلم وزيارة أصحاب الحاجات والمرضىٰ وغيرها من الأعمال.

والنوافل تزيد من قوة الفرد وصلابته، وتكون سبباً في حب الله له وقربه منه وذلك لقول النبي ﷺ في الحديث القدسي مخبراً عن ربه إذ يقول: «**من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي أعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[٦٨].

* ويجب الالتفات إلىٰ أمر هام، وهو التركيز علىٰ العمل أكثر من الكلام خاصة أيام الفتنة.

---

(٦٨) البخاري ـ الرقاق (١١/٢٩٢ ـ ٢٩٥).



الأدب السادس:

التثبت وكف اللسان

* خطورة اللسان:

تكثر الأقاويل أيام الفتنة، وتزداد شهوة الإشاعات والمبالغات وتكون الآذان مستعدة لاستقبال كل ما يقال وفي هذه تكمن الخطورة فرب كلمة كانت أشد من وقع السيف أيام الفتنة لذا فيجب علينا أن نكف ألسنتنا عن كل كلمة تزيد عن الحقيقة وتزيد من وهج الفتنة.

واللسان من أخطر ما خلق الله في جسم الإنسان، لذا يقول تعالىٰ منبهاً المؤمنين:

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[69].

سأل الصحابي الجليل معاذ بن جبل النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده عن النار فأخبره ﷺ

---

(٦٩) الإسراء ٥٣.

برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال: «**ألا أخبركم بملاك ذلك كله؟**» قال: بلىٰ يا رسول الله فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «**كف عليك هذا**» فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٧٠].

إن تطهير اللسان من الآفات والتثبت قبل القول ووزن الكلام قبل التكلم به أمر ذو شأن إذ به تضمن الجنة كما قال النبي ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[٧١].

* التثبت عند السماع:

وكما للسان خطورته في المشاركة فيما هو زائد عن الحق، كذلك الأذن مشاركة له في الخطورة لأنها هي بريد القلب، فليس من الحكمة تصديق كل ما يستمع إليه سواء كان ذلك مصدره الأفراد أو الصحافة أو الإذاعات أو التلفزيونات.

والتبين والتثبت صفة لأهل اليقين من المؤمنين وبسبب

---

(٧٠) الترمذي وقال حسن صحيح.
(٧١) الترمذي بإسناد صحيح.

هذه الصفة التي فيهم، يبين الله لهم الآيات والغلامات في الأمم التي مضت، حتىٰ يستخرجوا العبر التي تقيهم ما وقع به غيرهم من غضب الله تعالىٰ. لذلك يقول سبحانه: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[72].

يقول الإمام الطبري: «وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون، لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء علىٰ يقين وصحة، فأخبر الله جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بين من ذلك، ليزول شكه، ويعلم حقيقة الأمر»[73].

ويقول الشيخ صديق حسن خان: «قرأ الجمهور فتبينوا من التبين، وقرىء فتثبتوا من التثبت، والمراد من التبين التعرف والتفحص ومن التثبت الأناة وعدم العجلة والتبصير بالأمر الواقع وخبر الوارد حتىٰ يتضح ويظهر»[74]

ويقول الشيخ الشرباصي: «تبين الأمور فيه معنىٰ التبصر والاستيضاح والتأكد من الأمر قبل الحكم له أو عليه. ولذلك تقول اللغة: بان الشي يبين بياناً فهو مبين:

---

(٧٢) البقرة ١١٨.

(٧٣) تفسير الطبري (٢/٥٥٧) تحقيق محمود شاكر.

(٧٤) فتح البيان (٩/٧٢).

أي اتضح يتضح اتضاحاً فهو واضح، والبينة هي العلامة التي توضح الشيء، سواء كان حسيًّا أم عقلياً، وبينت الشيء: أوضحته وأظهرته وتبين القوم الأمر: تدبروه على مهل غير متعجلين، ليظهر لهم جليًّا»[٧٥].

* التأني يقي المصارع:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم حاثّا المؤمنين على التخلق بهذا الخلق قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[٧٦] وليؤكد لهم أن هذا أصل لا بد منه. فإننا نسمع كثيراً خاصة أيام الفتنة عن الجميع الظالم والمظلوم ونسمع من مصادر شتى بعضها إسلامي وبعضها ممن لا يضمرون للمسلمين إلا الشر والخراب كالإذاعات غير الإسلامية فإنهم لا يريدون من وراء هذه الأخبار سوى غرس البلبلة ونشر الرعب.

وقد نسمع هذه الأخبار من الرسميين أو ممن يبدون أصحاب أخبار موثقة أو يكونون في بعض الأحيان من الملتزمين مع جماعة صالحة، ونسارع في تصديقهم، واتخاذ موقف من زيد أو عمرو دون أن نتثبت. لذلك جاءت هذه الآية لتكون قاعدة من قواعد فقه الإنكار.

---

(٧٥) موسوعة أخلاق القرآن (١٥/٣).

(٧٦) الحجرات ٦.

* سبب نزول الآية:

وكان سبب نزول هذه الآيات ما أخرجه الإمام أحمد «عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ فدعاني إلىٰ الإسلام فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلىٰ قومي وأدعوهم إلىٰ الإسلام وأداء الزكاة. فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولاً لأبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الأبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله ﷺ فدعا سروات قومه فقال لهم إن رسول الله ﷺ كان وقت وقتاً يرسل إلي رسوله يقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرىٰ حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق، فرق فرجع فأتىٰ رسول الله ﷺ فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلىٰ الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل

البعث وفصل من المدينة فلقيهم الحارث. فقالوا: هذا الحـارث، فلما غشيهم قال لهم: أين بعثتم؟، قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله. قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته البتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث علىٰ رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي. قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته البتة ولا أتاني، وما احتبست إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ، حسبت أن يكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت الحجرات:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾.

إلىٰ هذا المكان ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[(٧٧)].

* سبب التحذير:

وسبب تحذير الله سبحانه وتعالىٰ المؤمنين من التسرع، وتنبيههم للتثبت قبل اتخاذ الموقف. بينه سبحانه وتعالىٰ

(٧٧) قال الهيثمي: رواه أحمد ورجال أحمد ثقات ـ مجمع الزوائد (١٠٨/٧).

بقوله: ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٧٨] أي «لئلا تصيبوا قوماً من الناس الأبرياء. وأنتم تجهلون حقيقة الأمر. فتصيروا بعد ظهور براءتهم نادمين علىٰ ما ارتكبتم في حقهم. مغتمين غمًّا يلازمكم، وتتمنوا أن ذلك لم يقع منكم، لأن الندم هو الغم علىٰ وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه»[٧٩].

وهذا الغم الذي يصيب المؤمنين بسبب تعجلهم إنما هو نتيجة ما يأمر به الشيطان، ليجعلهم في حزن وأذىٰ، وليساعد علىٰ تفككهم بنشر الأحقاد فيما بينهم وانتزاع الثقة وحسن الظن الذي يجمعهم، لذا قال النبي ﷺ: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[٨٠].

قال الإمام ابن القيم: «إنما كانت العجلة من الشيطان، لأنها خفة وطيش، وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم. وتوجب وضع الشيء في غير محله، وتجلب الشرور وتمنع الخيور. وهي متولدة بين خلقين

---

(٧٨) الحجرات ٦.

(٧٩) موسوعة أخلاق القرآن (٣/٢٠٢١٩).

(٨٠) أخرجه البيهقي في «الشعب» وحسنه الألباني ص ج ص (٣٠٠٨).

مذمومين، التفريق والاستعجال قبل الوقت»[٨١].

* فراق الخضر:

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق وهم القدوة في قومهم. ولا بد أن تتوافر فيهم صفة التثبت كصفة أساسية حتىٰ يتمكنوا من وضع الأشياء في محلها، وحتىٰ تنتفي منهم صفة الظلم، ولأن صفة التسرع والطيش وعدم التثبت ليس من صفات الكاملين، لذلك ربىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أنبياءه علىٰ هذه الصفة ليكونوا قدوات يحتذي بهم ورثة الأنبياء من الدعاة من بعدهم، ومن بين هؤلاء الرسل موسىٰ عليه السلام في قصته مع الرجل الصالح «الخضر»، لقد أخذ الخضر من موسىٰ عليه السلام عهداً وشرطاً إن أراد صحبته ليتعلم من العلم الذي أعطاه الله، ألا يسأله عن شيء حتىٰ يوضحه له، ومع موافقة موسىٰ عليه السلام علىٰ الشرط بألا يتسرع بالإنكار علىٰ الخضر عندما يقوم ببعض الأمور التي يبدو في ظاهرها المنكر كان موسىٰ يعترض وينكر قبل أن يسمع من الخضر حقيقة ما يقوم به «إن الخضر يخرق السفينة التي حملتهما، وأركبهما صاحبها من غير نول. ولكن الخضر يكافىء يده بضدها ويتسبب

---

(٨١) فيض القدير (٣/٢٧٧).

ـ علىٰ ما كان يظهر لموسىٰ ـ في غرق ركابها الوادعين، ويقتل غلاماً زكيًّا لم يسيء إليهما، ولم يسيء أبواه، وبالعكس من ذلك يقيم جداراً يريد أن ينقض من غير أجرة يتقاضاها، وذلك في قرية لم يضيفهما أهلها، ولم يعرفوا حقهما، هذه كلها تصرفات غريبة من الخضر، تثير في موسىٰ الاستغراب والدهشة، وتحمله علىٰ الإنكار والسؤال مرة بعد مرة»[٨٢].

كان علىٰ موسىٰ عليه السلام أن يتريث حتىٰ يوضح له الخضر أسباب وحقائق ما يقوم به، حتىٰ يحصل علىٰ أكبر قدر من العلم من ذلك الرجل الصالح، الأمر الذي جعل الخضر يذكره بعدم التسرع بعد كل إنكار كان يقوم به موسىٰ عليه السلام. مذكراً له بالشرط الذي اشترطه عليه في بداية اللقاء، حتىٰ قرر الخضر المفارقة لأن موسىٰ لم يلتزم بالشرط فحرم بسبب تسرعه علماً كثيراً
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٨٣]. فرد عليه أسباب قيامه بخرق السفينة وقتل الغلام، وبناء الجدار، كما جاء في سورة الكهف، وعلىٰ

(٨٢) تأملات في سورة الكهف (ص٩٦، ٩٧) أبو الحسن الندوي.

(٨٣) الكهف ٧٨.

غير ما بدا في ظاهرها، ليعلم الدعاة من هذه القصة دروساً في التأني والتثبت قبل الإنكار. وليعلموا أن من امتثل هذه الصفة. فكأنما حاز علىٰ جزء من النبوة، إذ يقول النبي ﷺ: «**التؤدة والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبـوة**»[٨٤] فأين الهمم التي تتسابق لامتلاك هذه الأجزاء النبوية؟

* سليمان والهدهد:

لذلـك نرىٰ هذه الصفـة واضحـة في سليمان عليه السلام، وذلك في قصته مع الهدهد إذ يقول سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[٨٥].

يقول سيد رحمه الله: «ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم

---

(٨٤) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» والطبراني في «الكبير» والترمذي عن عبدالله بن سرجس وصححه الألباني ص ج ص (٣٠٠٧).

(٨٥) النمل ٢٠.

يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ ولكن سليمان ليس ملكاً جباراً في الأرض، إنما هو نبي، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائياً قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره.. ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه»[86]

إن الأناة والتثبت صفة جميلة يحبها الله، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب، واتخاذ القرار، لهذا قال الشاعر ابن هانىء المغربي:

وكــل أنــاة في المــواطن سؤدد
ولا كأنــاة من قدير محكــم
ومن يتبـين أن للصفـح موضعاً
من السيف يصفح عن كثير ويحلم
ومـا الـرأي إلا بعد طول تثبت
ولا الحــزم إلا بعــد طول تلوم[87][88]

---

(٨٦) الظلال (٥/٢٦٣٨).
(٨٧) التلوم: الانتظار أو التأني في الأمر.
(٨٨) موسوعة أخلاق القرآن (٣/٢٧).

* الاستخبار قبل الإنكار:

ومن فقه قصة الخضر مع موسىٰ وسليمان مع الهدهد وغيرها من التوجيهات القرآنية والنبوية، استنبط العلماء أحكاماً في الإنكار، والتي منها ما نحن بصدده من التثبت والتروي والاستخبار قبل الإنكار، فها هو القاضي أبو يعلي يذكر في الأحكام السلطانية ما يتعلق بالمحتسب «وإذا رأىٰ وقوف رجل مع امرأة في طريق سالك لم تظهر منهما أمارات الريب لم يعترض عليهما بزجر ولا إنكار، وإن كان الوقوف في طريق خال فخلوا بمكان ريبة فينكرها ولا يعجل في التأديب عليهما حذراً من أن تكون ذات محرم، وليقل: «إن كانت محرم فصنها عن موقف الريب، وإن كانت أجنبية فاحذر من خلوة تؤديك إلىٰ معصية الله عز وجل» وليكن زجره بحسب الأمارات، وإذا رأىٰ المحتسب من هذه الأمارات ما ينكرها تأنىٰ وفحص وراعىٰ شواهد الحال، ولم يعجل بالإنكار قبل الاستخبار[٨٩]

* حرمة العلماء:

روىٰ البخاري في صحيحه الحديث القدسي فيما يرويه

---

* أي العلامات الدالة.

(٨٩) الآداب الشرعية (١/٣٢٢).

الرسول ﷺ عن ربه: «**من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب . .**»[٩٠].

فإذا كان الأمـر بالتثبت لعامة المسلمين واجباً ففي العلماء أوجب، ذلك لما يؤثره التسرع باتهامهم من حرمان العوام من علمهم، أو ظن السوء فيهم وربما كانوا منه براء، لذلك علىٰ القائمين بأمر الإنكار أن يتثبتوا إذا سمعوا أو قرأوا ما يمس أحد العلماء وألا يخوض فيما يخوض به الآخرون، ثم يندم إما في الدنيا إذا تبينت له الحقائق وإما بالآخرة حيث سيقف خصماً لذلك العالم وهو يطلب من الله جل جلاله أن ينصفه مما اتهمه فيه من تهم باطلة دون أن يتثبت. وحتىٰ لا نقع في هذه المحذورات، وضع الإمام السبكي في طبقـات الشـافعية قاعدة ذهبية في تجريح العلماء، إذ قال: «الصواب عندنا أن من تثبت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة علىٰ سبب جرحه، من تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا نلتفت إلىٰ الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح علىٰ إطلاقه، لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن

---

(٩٠) رواه البخاري ـ وللحديث بقية.

فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون، وقد عقدَ الحافظ أبو عمر بن عبدالبر في كتاب العلم باباً في حكم قول العلماء بعضهم في بعض وروىٰ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ـ استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم علىٰ بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد من التيوس في زروبها ـ وعن مالك بن دينار يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض.

ولعل ابن عبدالبر يرىٰ هذا، ولا بأس به، غير أنا لا نأخذ به علىٰ إطلاقه ولن نرىٰ أن الضابط ما نقوله من أن ثابت العدالة لا يلتفت فيه إلىٰ قول من تشهد القرائن بأنه متحامل عليه إما لتعصب مذهبي أو غيره. ثم قال ابن عبدالبر ـ فمن أراد قبول قول العلماء الثقات بعضهم في بعض، فليقبل قول الصحابة بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً، فنقول مثلاً، لا يلتفت إلىٰ كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، لأن هؤلاء أئمة مشهورون، صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوافرت الدواعي علىٰ نقله ـ ومن أمثلة ما قدمنا، قول بعضهم في البخاري ـ تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ، فيالله والمسلمين أيجوز لأحد

أن يقول البخاري متروك، وهو حامل لواء الصناعة، ومقدم أهل السنة والجماعة»[٩١].

---

(٩١) طبقات الشافعية (١/١٨٧) إلى (١٩٠).



الأدب السابع:

التوازن والعدل في الحكم

وفي الفتن الكبيرة التي تصيب الشعوب، أو ما يحدث بين فئتين من المسلمين سواءاً في البلد الواحد أو بلاد مختلفة، عندها تصعب الرؤية الصحيحة، ويترتب علىٰ ذلك ظلم كبير بسبب صعوبة الرؤية. فلا بد والحال كذلك من الالتزام بقواعد تعين علىٰ اتضاح الرؤية والوصول إلىٰ الحكم العدل.

*** القاعدة الأولىٰ ـ العدل عند الظلم:**

يقول تعالىٰ:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[92] يقول ابن كثير: «أي لا يحملنكم بغض قوم علىٰ ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً، ولهذا قال: «اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ»[93] فإذا ما وقع ظلم من فئة

---

(٩٢) المائدة ٨.

(٩٣) تفسير ابن كثير.

معينة بسبب غضب الله بإحلاله هذه الفتنة، ليس من العدل نسيان أيادي الخير، والمواقف التي يحبها الله لهذه الفئة، وإن كان من الواجب علينا التذكير والنصيحة بالإقلاع عن هذه المظالم، لأن المظلوم دعوته مستجابة وإن كان كافراً يقول النبي ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً، ففجوره علىٰ نفسه**»[٩٤] وكذلك ظلم الخصم يجب ألا ينسينا العدالة في الحكم عليه، وألا نصطنع الأخبار فنتقول الأقاويل، بل نقول الحق، فإنه أقرب للتقوىٰ.

* القاعدة الثانية ـ الحاكم غير المحكوم:

إن مما ابتليت به هذه الأمة من الأمور هو «التعميم بالأحكام» فإذا ما قام فرد من بلد ما أو من جماعة ما بفعل خاطىء، يقوم البعض باتهام جميع أفراد البلد الذي ينتمي إليه ذلك الفرد بذلك الخطأ، أو جميع أفراد الجماعة التي ينتمي إليها بذلك الخطأ وهذا أمر يخالف العقل والمنطق والواقع فلا يمكن أن يكون مجتمع ما كلهم سيئين كما أنه لا يوجد مجتمع كلهم صالحون، فكل مجتمع في هذه الأرض يوجد فيه الصالح والطالح، ولهذا لا يجوز التعميم.

---

(٩٤) الطيالسي بإسناد حسن.

وهناك بعض الحكام من ضعاف النفوس، وممن لا يهتمـون إلا بأنفسهم وأمـوالهم، يقفون بعض المواقف الرعناء يورطون شعوبهم بهذه المواقف، والكثير من أفراد الشعب لا يوافق حاكمه بهذا الموقف، ولكن هؤلاء تكتم أصواتهم ومعارضتهم، لأن الإعلام بما فيها من صحافة وتلفزيون بيد ذلك الحاكم الظالم ليوهم من هم خارج القطر بأن الشعب كله يؤيده في موقفه، وذلك بعد أن يجند بضعة آلاف من المرتزقة الذين يهتفون باسمه ويمجدون بطولاته وطغيانه.. وهذه الحركات الإعلامية يجب ألا تخدعنا فنقف ضد شعب بكامله بسبب موقف حاكمه الظالم فليس لشعوبنا حول ولا قوة، ومعظم شعوبنا مغلوب علىٰ أمرها بسبب تسلط الطواغيت علىٰ رقابها.

* القاعدة الثالثة ـ ترك الفجور عند الخصومة:

يشير النبي ﷺ إلىٰ بعض صفات المنافقين في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**وإذا خاصم فجر**»[٩٥] ومعنىٰ ذلك أن المنافق إذا حصلت خصومة بينه وبين آخر فإنه يتجاوز الحد في الرد، ويسيء إلىٰ الخصم أكثر مما أسيء إليه أضعافاً مضاعفة، ولذا يجب أن ننتبه في الفتنة، ونتأدب بآداب

---

(٩٥) رواه البخاري ـ جزء من حديث (١ / ٨٤).

الإسلام ولا نرد على الظالم بأكثر مما أساء إلينا، ولنا الحق كل الحق برد الحيف الذي لحق بنا ولكن لا نزيد في خصومتنا، بسبب احتمال ترتب ظلم على ذلك، ومثال ذلك إذا هدم بيت لا نهدم مدينة كاملة، وإذا قتل منا فرد لا نقتل بسببه الأبرياء ممن ليس لهم في هذه الفتنة ناقة ولا جمل.

* القاعدة الرابعة - الحذر من نسيان المظلوم:

والمظلوم إما أن يكون فرداً أو مجموعة، أو بلداً بأكمله، وتناسي المظلوم أو تعمد إهماله وعدم التحرك الجدي لفكه من الظلم ذنب عظيم يستوجب العقوبة الإلهية، ونسيان المظلوم ظلم يضاف إلى أنواع الظلم المعروفة، خاصة إذا كان بالمقدور نصرته، ورفع الظلم عنه، فلنتق الله تعالى، ولننظر من حولنا بعين فاحصة في المظلومين، فربما يكون أقرب الناس إليك من هذهِ الفئة وأنت لا تشعر فيه، قد يكون زوجك، أو أبناؤك أو والديك، أو قريبك أو صديقك، أو من يعمل معك في العمل، أو يسكن في بلدك من الجنسيات الأخرى.

ولا ننسى أن دعوة المظلوم مستجابة.

* القاعدة الخامسة ـ حكم من ظاهره السوء :

يقول تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[96] .

يقول علماؤنا : «أنه لا يجوز سوء الظن فيمن ظاهره الصلاح والتقوىٰ» هذا هو الأصل ، أننا لا نظن سوءاً بمن في ظاهره الصلاح والتقوىٰ من أعماله وأقواله ، أما الذي ظاهره السوء والفحش كإباحة الخمور في بلاده ، والربا والدعارة والتعري في وسائل الإعلام ، ولا يحكم بما أنزل الله ، ويرفع رايات تغضب الله ، فأمثال هذا عندما ينادي بالإسلام لا يصدق ، ولا ننخدع بما ينادي فيه ، وبالشعارات التي يرفعها ، لأن هذا متناقض مع أعماله وما يحكم فيه ، وما يبيح في بلده ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فكيف وقد لدغنا من قبل بالكثير من الطغاة الذين رفعوا الرايات الإسلامية ثم اكتشفنا بعد فوات الأوان كذب دعواهم ، بعد أن كفروا بالسنة وصرحوا بالكفر البواح . فلا يصدق من كان في ظاهره السوء .

---

(٩٦) الكهف ٢٨ .

* القاعدة السادسة ـ الاستعانة بأهل الدين والرأي:

إن عدم وضوح الرؤيا بسبب شدة الفتنة، وخطورة التفكير الآحادي في مثل هذه الفتن الكبيرة، يستدعي ضرورة الاستعانة برأي أهل الصلاح والتقوىٰ والعلم من العلماء العاملين المتبصرين بأمور الدعوة لأن موازين هؤلاء يستقونها من مصدري الأمان وهما الكتاب والسنة لا يزيغ عنهما إلا هالك، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأن القلب يطمئن إذا ما استند مثل هؤلاء العلماء إلىٰ ما يعضد رأيهم من كتاب الله وسنة المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام. ومن الخطورة بمكان في مثل هذه الفتن العظيمة أن يكون الرأي خالياً من الدليل، والسبب الآخر أن الأصل في هؤلاء العلماء أنهم لا يرهبون مخلوقاً، ولا يطمعون بزينة من زينة الدنيا تمنعهم من قولة الحق، هذا هو الأصل الذي يجب أن يتبع، وإن كان لكل قاعدة شواذ، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيفما يشاء.

* القاعدة السابعة ـ اللجوء إلىٰ الله:

ومع الأخذ بجميع هذه الأسباب والقواعد، فإن المرء

يبقىٰ إنساناً معرضاً للخطأ والصواب فالعاصم من الزلل هو خالق السموات والأرض فيكون الملتجأ إليه وطلب المعونة منه للهداية للصواب في الرأي والطريق: فاللجوء إلىٰ الله هو أول ما يجب أن يفكر فيه قبل اللجوء إلىٰ عقولنا وتدبيرنا، أو اللجوء إلىٰ المخلوق الذي وإن ملك السلاح والخطط والمخترعات، فإنه يبقىٰ إنساناً لا يملك من أمر نفسه حولا ولا قوة، وإن القوة والحول كله بيد مالك السموات والأرض، والمستيقن بهذا فكأنما وقع علىٰ كنز من كنوز الجنة إذ يقول النبي ﷺ: «**ألا أدلك علىٰ كلمة من تحت العرش، من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم**»[97] وهو الاعتراف بأن الحول والقوة يملكها الله وحده وهو المتصرف بالأمور والقادر عليها، وأن المخلوق ليس له من أمره شيء إلا بما قدره الله عليه، وهذا يؤدي إلىٰ التوكل التام عليه بمعنىٰ تفويض الأمر له تعالىٰ مع بذل الأسباب حتىٰ يتحقق أمر الله.

*** معناهـــا:**

كلمة يقولها كثير من الناس في كل صباح. ويقولونها

---

(٩٧) الحاكم في المستدرك بإسناد صحيح ص ج ص (٢٦١٤).

في مناسبات كثيرة ولكن قليل من يفقه معناها، وقليل من هذا القليل الذي يطبقها ويحولها من ألفاظ ومعان إلىٰ واقعه الذي يحياه بينه وبين نفسه وبينه وبين الله، وبينه وبين الناس.

فالتوكل هو تفويض الله بكل أمر من أمورك، وهو الثقة بالله والإيمان بقدرته وقوته وعلمه. فهو إذن الاعتماد الكامل علىٰ الله سبحانه ومحصلة ذلك هو الإيمان العملي ببعض أسماء الله وصفاته.

لذلك قال الإمام ابن القيم: «التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين عبادة واستعانة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة»[٩٨] فاستعانتك بالله إقرار بضعفك وبجهلك وإيمان بعلم الله وقدرته فتخضع له وتطلب منه العون وتحبه وكل ذلك من معاني العبادة.

*** يوسف عليه السلام وصاحباه:**

يرجح الإمام ابن القيم في تفسيره القيم أن عقاب الله ليوسف عليه السلام بأنه لبث في السجن بضع سنين جاء من استعانته ببشر قبل استعانته بالله وذلك قوله للذي ظن

---

(٩٨) تهذيب مدارج السالكين (٣٣٦).

أنه ناج منهما ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي عند سيدك الملك ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ أي أن الشيطان أنسىٰ يوسف عليه السلام الاستعانة بذكر ربه الحقيقي واستعان ببشر ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ . . فلا يقبل الله سبحانه وتعالىٰ الاستعانة بغيره لأن غيره لا حول له ولا قوة وغيره مهما ملك من القوة والسلطان والعدة والعتاد فإنه لا يتعدىٰ أن يكون عبداً من عبيده حركاته وهمساته وإرادته كلها تحت إرادة الله وقدرته.

* مريم تهز النخلة:

نتعجب من قول ربنا في سورة مريم: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[99].

فكيف لمريم عليها السلام وهي في حالة النفاس متعبة منهكة بعد المخاض والوضع لا تستطيع معه حراكاً، كيف لها أن تهز النخلة؟ مع علمنا أن النخيل هو من أصلب الأشجار، وجذوع النخيل من أخشن الجذوع بين باقي الأشجار، وعذق النخلة التي تحتاج إلىٰ هز، ليتساقط الرطب الذي فيه، لا شك أنه مرتفع بعيد عن متناول

(٩٩) مريم ٢٥.

اليد، فكيف لمريم وهي المرأة التي من طبيعتها الضعف ويضاف إلىٰ ضعفها الطبيعي آلام النفاس وآثار الحمل، والحالة النفسية التي كانت تتملكها وهي خائفة من تهمة الفاحشة من قبل أهلها وهي الطاهرة العفيفة، كيف لها أن تهز النخلة؟

إذن هي سنة الله في بذل الأسباب لكي يتم المعنىٰ الحقيقي للتوكل، فلا بد لمن توكل علىٰ الله أن يبذل الأسباب فهذه هي سنة الله سبحانه. ونجد هذا المعنىٰ متحققاً في أكثر من موضع من القرآن والسيرة النبوية، فها نحن نقرأ قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[100].

وذلك عندما أخذ الرسول ﷺ حفنة من التراب وألقاها في وجوه الكفار في إحدىٰ المعارك فدخلت كل ذرة منها في عين أحدهم وكانت تلك سبباً من أسباب الانتصار، نرىٰ أن الله سبحانه وتعالىٰ أراد من رسوله ﷺ بذل ذلك السبب وهو رمي هذه الحفنة من التراب، ولكن الناصر الحقيقي هو الله سبحانه وتعالىٰ، لذلك ينفي سبحانه وتعالىٰ رمية الرسول ﷺ ويقر رميته هو سبحانه وتعالىٰ، إذ أن الرسول

---

(١٠٠) الأنفال ١٧.

ﷺ بعد توكله علىٰ الله ما زاد علىٰ بذل السبب شيئاً. وكذلك الحال في عصا موسىٰ عليه السلام.

*** يا ليتنا معهم:**

هنيئاً للمطبق لهذا المعنىٰ الإيماني الكبير (التوكل) في كل جزئية من حياته، فإن البشارات تأتيه تترىٰ.

أولها: رجاء أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في الصحيحين والذين جاء من صفاتهم «**وعلىٰ ربهم يتوكلون**»[١٠١].

ثانيها: أن يزداد تعرفه بالله سبحانه وتعالىٰ من خلال تطبيقه العملي لأسمائه وصفاته (كالقادر والرازق، المحيي، المميت) فيزداد قرباً منه.

ثالثها: ترك الشرك. وترك الالتفات لغير الله فيزداد بذلك عزة.

رابعها: يزداد رضاً بما يقدر الله، وهو الاستسلام الكامل القلبي لله سبحانه وتعالىٰ.

خامسها: يزال من قلبه كل أثر للخوف من المخلوق،

---

(١٠١) البخاري فتح الباري (٦٥٤١).

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[١٠٢].

سادسها: زيادة الهداية والوقاية من كل شر والكفاية من كل حاجة، وذلك قوله ﷺ: «**من قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ **بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت ووقيت وكفيت، فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**»[١٠٣].

---

(١٠٢) آل عمران ١٧٣.

(١٠٣) رواه الترمذي وصححه الألباني ص ج ص ٦٢٩٥.

الخاتمـــة

هذه الآداب النابعة من ديننا الحنيف ما هي إلا وسائل مساعدة لإيقاف البلاء أو التخفيف منه لأن وقوف البلاء تماماً إنما هو بيد الله تعالىٰ.

والله تعالىٰ قادر علىٰ التغيير ولا شك بذلك ولكنه اشترط للتغيير شروطاً منها:

١ـ أن نبدأ بالتغيير من عند أنفسنا لقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١

فما لم يبدأ كل منا بتغيير نفسه وإصلاحها لما يريد الله تعالىٰ. وانتشالها من الظلمات إلىٰ النور، فلن يغير الله ما بنا.

٢ـ أن نقوم بنصره لقوله تعالىٰ:

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. محمد ٧

أي نقوم بتطبيق ما أراد منا أن نطبقه في حياتنا، وألا نفصل بين الدين والدولة، ونطبق أحكام القرآن علىٰ كل حياتنا، ونقوم بموالاته هو وموالاة من يواليه ومعاداة أعدائه.

٣ـ التوبة النصوح وهي الاعتراف بالأخطاء التي قمنا بها مع العزيمة علىٰ ترك كل ذلك والعزم بالابتداء الصحيح.

٤ـ أن نعد العدة لقوله تعالىٰ:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال ٦٠

فأول هذا الإعداد هو الإعداد الإيماني العقدي ثم يعقبه أي وسيلة مشروعة من شأنها إيقاف الظلم الذي يقع علىٰ المظلوم.

٥ـ وحدة الصف وتنقيته من الشوائب فيجب في مثل هذا الظرف أن تتوحد القلوب أولاً ثم تتوحد الصفوف بالالتقاء جميعاً علىٰ الذي لا خلاف فيه وهو القرآن والسنة وترك الرايات التي ما زادتنا إلا تفرقاً وتمزقاً ثم تنقية هذا الصف من كل شائبة شاذة علىٰ هذا الصف الواحد.

٦ـ أن تكون ثقتنا بالله كبيرة برفع البلاء، لأنه هو الذي وعد بذلك ولا يمكن أن يتغير وعده «إن الله لا يخلف الميعاد».

والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفهـرس







دار الدعوة للنشر والتوزيع
ت : ٢٦١٥٠٤٥
ص.ب : ٢٠٦٦٥ بيان
الرمز البريدي : 43756
الكويت

طباعة مطابع الخط - الكويت
تلفون : ٤٨٤٤٥٤٥ - ٤٨٤٤٩٤٩ - ٤٨١٧٠٤٨